Journal Of the Iraqia University (71-2) March (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الخلافات التفسيرية بين مفسري القرن السابع الهجري نماذج من سورة البقرة

م.م. علياء احمد حومد

كليه الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

Interpretive disputes among interpreters of the seventh century AH Examples of Surat Al-Baqarah

Teaching assistant . Alia Ahmed Houmed
Imam Al-A'zam (may God have mercy on him) University College
Zjdgfsd@gmail.com

المستخلص

لقد كان القرآن العظيم محور الدراسات الدينية و اللغوية و البلاغية و النحوية، في العالم الإسلامي عبر العصور ، و ما نال كتاب سماوي أو غير سماوي ما نال من الحفظ و الفَهم و الدراسة ، كما ناله دستور هذه الأمة عبرَ أجيالها.وقد اخترت واحداً من هذه الأجيال المباركة التي حملت عبء تفسير القرآن ، و هو القرن السابع الهجري ، و من روّاده: الإمام الرازي، و القرطبي، و البيضاوي.وتختلف آراء المفسرين أحياناً كثيرة في تحديد مدلولات بعض الألفاظ القرآنية، أو معاني ودلالات الآيات القرآنية، و ذلك تبعاً للمتغيرات المتنوعة التي تؤثر على عملية فهم النص وتأويله، لكن مما لاشك فيه أن دائرة الاختلاف في التفسير تتسع كلما ابتعدنا عن النواة الأولى أو القوم الأُول الذين نزل عليهم القرآن وعاشوا ملابساته و تنجيمه، فالخلاف بين السلف أقل منه بين المفسرين اللاحقين، وازداد الاختلاف فيما بعد وبعدَ نشوء الفرق والمذاهب المختلفة، حيث كانت كل فرقة أو طائفة تلجأ إلى آيات القرآن لتنتصر لمذهبها وتنقض مذهب الفرقة المخالفة لها

الكلمات المفتاحية : الخلافات التفسيرية ، التأصيل ، التدوين ، التشابك والترابط

Abstract

The Great Qur’an has been the focus of religious, linguistic, rhetorical, and grammatical studies in the Islamic world throughout the ages, and no heavenly or non-heavenly book has received as much memorization, understanding, and study as the constitution of this nation has achieved throughout its generations. I chose one of these blessed generations that bore the burden of interpreting the Qur’an, which is the seventh century AH, and its pioneers include: Imam Al-Razi, Al-Qurtubi, and Al-Baydawi. The opinionsof commentators differ many times in determining the meanings of some Qur’anic words, or the meanings and connotations of Qur’anic verses, depending on the various variables that affect the process of understanding and interpreting the text, but there is no doubt that the circle of difference in interpretation expands as we move away from the first core.Or the first people to whom the Qur’an was revealed and who lived through its circumstances and astrology. The disagreement among the predecessors was less than among later interpreters, and the disagreement increased later and after the emergence of different groups and doctrines, as each group or sect resorted to the verses of the Qur’an to support its doctrine and overthrow the doctrine of the group that opposed it.Keywords: interpretive differences, rooting, codification, interconnection and interconnection

المقدمة

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و من اهتدى بهداه، و بعد:القرآن الكريم هدية السماء للبشريةِ جمعاء ، أنزله تعالى شأنه بلسان عربيٍ مبين، فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ (الشعراء: الآية ١٩٢_١٩٥)وكان القرآن العظيم محور الدراسات الدينية و اللغوية و البلاغية و النحوية، في العالم الإسلامي عبر العصور ، و ما نال

كتاب سماوي أو غير سماوي ما نال من الحفظ و الفَهم و الدراسة ، كما ناله دستور هذه الأمة عبرَ أجيالها.اخترت واحداً من هذه الأجيال المباركة التي حملت عبء تفسير القرآن ، و هو القرن السابع الهجري ، و من روّاده: الإمام الرازي، و القرطبي، و البيضاوي.

خطة البحث:

اقتضى الموضوع أن يُقسّم على مقدمة و تمهيد و ثلاث مباحث، لكلّ مبحثٍ مطلبان:في المبحث الأول تناولت معاني (الصيّب) الوارد في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ ، و اختلاف المفسرين فيه.وفي المبحث الثاني تناولت معاني(ما) الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ ، و اختلاف المفسرين فيه.وفي المبحث الثالث تناولتُ معاني (إلا) الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ﴾، و اختلاف المفسرين فيه.ثم الخاتمة و قد أدرجت فيها أهم نتائج البحث ثم المصادر و المراجع.

التمهيد

إن الاختلاف بين الناس سنة إلهية حيث يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم: الاية٢٢)، فالاختلاف الفطري المركوز في النفوس البشرية هو آية دالة على إبداع الخالق سبحانه في الأكوان جميعها، و إن للفروق الفردية و الاختلافات التكوينية و البيئات المادية و المعنوية أثراً بارز في نشوء الاختلافات النفسية و الفكرية و الثقافية بين هذه المخلوقات البشرية (النصيرات،(ب،ت)،١)

أسباب اختلاف المفسرين تختلف آراء المفسرين أحياناً كثيرة في تحديد مدلولات بعض الألفاظ القرآنية، أو معاني و دلالات الآيات القرآنية، و ذلك تبعاً للمتغيرات المتنوعة التي تؤثر على عملية فهم النص و تأويله، لكن مما لاشك فيه أن دائرة الاختلاف في التفسير تتسع كلما ابتعدنا عن النواة الأولى أو القوم الأُول الذين نزل عليهم القرآن و عاشوا ملابساته و تنجيمه، فالخلاف بين السلف أقل منه بين المفسرين اللاحقين، و ازداد الاختلاف فيما بعد بعدَ نشوء الفرق و المذاهب المختلفة، حيث كانت كل فرقة أو طائفة تلجأ إلى آيات القرآن لتنتصر لمذهبها و تنقض مذهب الفرقة المخالفة لها .(النصيرات،(ب،ت)،١)لقد تحدث الكثيرون –أقدمون و محدثون– عن أسباب الاختلاف بين المفسرين، و دونوا ذلك في أسفار كثيرة و صلت إلينا، فكان من أولئك الذين حازوا قصب السبق في رصد هذه الأسباب الإمام الطوفي الصرصري (٧١٦ هـ) حيث قال في مقدمة كتابه (الإكسير) : "السبب في اختلاف الفقهاء، و تفرق الصحابة في البلاد، و اختصاص بعضهم بما ليس عند غيره من ناسخ و منسوخ، أو زيادة في حكم من تقييد مطلق أو تخصيص عام و نحوه، ثم انضم إلى ذلك اختلافهم في تأويل الكتاب و السنة بحسب ما فهموه من اختلاف اللغات و القرائن و الأحوال" (النصيرات،(ب،ت)،٣) و هذا ملحظ دقيق من الإمام الطوفي في تقرير دور الواقع و القرائن و الأحوال في اختلاف المفسرين في فهم النص القرآني.و ذكر المفسر الشهير ابن جزي (٧٤١ هـ) في إحدى مقدميته اللتين و ضعهما في بداية كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) أثناء ذكره للأبواب النافعة و القواعد الكلية الجامعة، حيث جعل الباب الخامس منها في أسباب الخلاف بين المفسرين و جعلها اثني عشر سبباً و هي(النصيرات،(ب،ت)،٣):

١. اختلاف القراءات (الخالدي،٢٠٠٢م،٨١)
٢. اختلاف وجوه الإعراب و ان اتفقت القراءات . (النصيرات،(ب،ت)٤)
٣. اختلاف اللغويين في معني الكلمة . (النصيرات،(ب،ت)٤)
٤. اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.
٥. احتمال العموم و الخصوص.
٦. احتمال الإطلاق أو التقييد.
٧. احتمال الإضمار أو الاستقلال.
٨. احتمال الحقيقة أو المجاز.
٩. احتمال الكلمة زائدة.
١٠. احتمال حمل الكلام على الترتيب و على التقديم و التأخير.
١١. احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً.

١٢.اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن السلف رضوان الله عليهم ، ثم اتبع ذلك بذكره و جوهاً للترجيح عند التعارض و جعلها كذلك اثني عشر و جهاًومن المحطات الحديثة البارزة في أسباب اختلاف المفسرين، ما كتبه د. سعود بن عبدالله الفنيسان في أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في التفسير عام ١٩٩٧ م، و الموسومة بـ (اختلاف المفسرين، أسبابه و آثاره) (حيث جعلها في ثلاثة أبواب، الباب الأول في الأسباب العامة لاختلاف المفسرين، و الباب الثاني في الأسباب الخاصة لاختلاف المفسرين، و الباب الثالث في آثار الاختلاف بين المفسرين.وذكر الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس أن الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي أفرد مبحثاً خاصاً لهذا الموضوع في كتابه (بحوث في أصول التفسير ومناهجه) ، و كذا فعل الشيخ مساعد بن سليمان الطيار في كتابه (فصول في أصول التفسير) و الدكتور محمد بن عبد الرحمن صالح الشايع في كتابه (أسباب اختلاف المفسرين) و خالد العك في (أصول التفسير و قواعده)(حسن،٢٠٠٥م،٢٦٣) و ألف الأستاذ إسماعيل الكسواني كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه (أسباب اختلاف المفسرين في تفسير القرآن الكريم) . (الكسواني،٢٠٠٥م،١٦٧)

المبحث الأول الخلاف تفسير (الصيب)

الوارد في قولِه تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:الآية١٩).

ويتضمن مطلبين:المطلب الأول: المعنى اللغوي المطلب الثاني: اختلاف المفسرين في معنى (الصيّب)

المطلب الأول: المعنى اللغوي

أختلف أهل اللغة في معنى الصيب الى قولين:**القول الأول:** الصيب بمعنى المطر ، و إليه ذهب الزجاج_ هو: أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن السري مصنف كتاب معاني القرآن و تآليف جمة منها كتاب (معاني القرآن) و (العروض) و (الإنسان و أعضائه) لزم المبرد فنصحه و علمه (ت : ٣١١ هـ).(ابن خلكان،(ب،ت)،٤٩، الذهبي،١٩٩٣م،٣٦) _ و قال : "وكلُّ نازلٍ من عُلْوٍ إلى استِفالٍ فقد صابَ يَصُوبُ ، و أنشد :

كأنهُم صابَتْ عليهمْ سحابةٌ..... صَواعقُها لطَيْرِهِنَّ ذَبِيبُ"

_ البيت من الطويل ، قافية الباب، و لم ينسب (يعقوب،١٩٩٦م،٣٠٧)وهو ما ذهب إليه الليث قائلاً: " الصَّوْبُ : المَطَرُ . و الصيّب : سحاب ذو صَوْب" (الأزهري،١٩٦٣م،١٧٧)وقال الرازي _ : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ:الإمام المفسر، صاحب التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)(المحصول في علم الاصول) (ت:٦٠٦هـ).(السبكي،١٩٩٣م،٨١،كحالة،١٩٥٧م،٧٩)_ : "(الصَّوْبُ) نُزُولُ الْمَطَرِ و بَابُهُ قَالَ. و (الصَّيِّبُ) السَّحَابُ ذُو الصَّوْبِ" (الرازي،١٩٩٥م،١٨٠)وفي اللسان: " و الصَّوْبُ مثل الصَّيِّبِ و تقول صابَهُ المَطَرُ أَي مُطِر (ابن منظور،١٩٩٠م،٥٣٤) ، و في الحديث: « اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا» (البخاري،١٩٨٩م،٢٣٨) أَي مُنْهَمِراً متدفقاً و صَوَّبْتُ الفرسَ إِذا أَرسلته في الجَرْيِ" (ابن منظور،١٩٩٠م،٥٣٤)ورجحه الخطابي_ هو: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب ألبستي صاحب التصنيف و لد سنة ٣١٣هـ تفقه على مذهب الشافعي من القفال حدث عنه الحاكم و الأسفراييني (ت : ٣٨٨هـ)(ابن خلكان،(ب،ت)،٢١٤،الذهبي،١٩٩٣م،٢٣)_ قائلاً: " فأمّا الصَّيْبُ فأصْلُهُ الصَّوْبُ من صَاب يَصُوبُ، يُقال صابَ المَطَرُ يَصُوب إذَا نزل. قَالَ الشَّاعرُ:تَحدَّر منْ جوِّ السِّماءِ يَصُوبُ_ صدر البيت: "فلست لإنسي و لست لملاك. البيت من الطويل ، قافية الكاف و هو لعلقمة الفحل في ديوانه(يعقوب،١٩٩٦م،٢٨٩)ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾وزْنُه فَيْعل من صابَ يَصُوبُ إذَا نَزَل" (الخطابي،١٩٨٢م،٤٩٢م)

القول الثاني: الصيب بمعنى السحاب وهو قول ابن فارس_ هو: أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين القزويني، له (معجم مقاييس اللغة) ، و (الصاحبي) في اللغة (ت: ٣٩٥هـ)(ابن خلكان،(ب،ت)،١١٨،الذهبي،١٩٩٣م،١٠٣) _ حيث قال : " الصَّيِّبُ السَّحَابُ ذُو الصَّوْبِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، و الصَّوْبُ: النُّزُولُ" (ابن فارس،١٩٧٩م،٣١٨).وهو ما رجحه ابن منظور _ هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، له (لسان العرب) ، و (مختصر تاريخ دمشق) (ت: ٧١١هـ)(السيوطي،١٩٦٤م،٢٤٨) _ في اللسان (ابن منظور،١٩٩٠م،٥٣٤)

الترجيح:الذي يبدو راجحاً –والله أعلم– هو أن تكوين السحاب في الجو على درجات فيبتدئ بالنشئ ، ثم السحاب، ثم الغمام، فإن كان ذا رعد و برق فهو العراص، فإذا ركب بعضُه بعضاً فهو المكفهر، فإذا كان خفيفا تسفره الريح فهو الزبرج. فإذا كان ذا صوت شديد فهو الصيب

المطلب الثاني: اختلاف المفسرين في معنى (الصيب)

اختلف المفسرون كأهل اللغة في معنى الصيب، و لكن على خمسةِ أقوال:

القول الأول: أنه السحاب وهذا القول رجحه الإمام الرازي قائلاً: " اعلم أن هذا هو المثل الثاني للمنافقين و كيفية المشابهة من و جوه:أحدها: أنه إذا حصل السحاب الذي فيه الظلمات و الرعد و البرق و اجتمع مع ظلمة السحاب ظلمة الليل و ظلمة المطر عند و رود الصواعق عليهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت و أن البرق يكاد يخطف أبصارهم، فإذا أضاء لهم مشوا فيه، و إذا ذهب بقوا في ظلمة عظيمة فوقفوا متحيرين لأن من أصحابه البرق في هذه الظلمات الثلاث ثم ذهب عنه تشتد حيرته. و تعظم الظلمة في عينه، و تكون له مزية على من لم يزل في الظلمة، فشبه المنافقين في حيرتهم و جهلهم بالدين بهؤلاء الذين و صفهم، إذ كانوا لا يرون طريقا و لا يهتدون" (الرازي،١٩٩٥م،٣١٥)

القول الثاني: أنه المطر وقد و رد هذا القول عن ابن عباس (رضي الله عنهما) كما رواه البخاري (البخاري،٢٠٠٢م،٣٢)وبه قال العكبري _ : أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن أبي البقاء ، قرأ العربية على ابن الخشاب و أبي البركات و تفقه على القاضي أبي يعلى صنف (تفسير القرآن) و (التبيان في إعراب القرآن) و (اللباب في علل الإعراب) (ت سنة ٦١٦هـ)(الذهبي،١٩٩٣م،٩٠)_ في التبيان (العكبري،(ب،ت)،٣٥)

القول الثالث: أنه يحتمل المعنيين وهو قول العز بن عبد السلام _ هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ، له (التفسير الكبير) و (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام) (ت:٦٦٠هـ). (السبكي،١٩٩٣م،٨٠) ، حيث قال: " ﴿كَصَيِّبٍ ﴾الصيب: المطر، أو السحاب" (السلمي،١٩٩٩٦م،١٠٧)و وافقه الإمام البيضاوي _: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين قاض، مفسر ، صنف (أنوار التنزيل و أسرار التأويل) في التفسير.(السبكي،١٩٩٣م،١٥٧) _ ، قائلاً : " إن أريد بالصيب المطر، فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر، و ظلمة غمامه مع ظلمة الليل و جعله مكاناً للرعد و البرق لأنهما في أعلاه و منحدره ملتبسين به. و إن أريد به السحاب، فظلماته سحمته و تطبيقه مع ظلمة الليل. و ارتفاعها بالظرف و فاقاً لأنه معتمد على موصوف" (البيضاوي،١٩٩٦م،٥١)

القول الرابع : أنه الإيمان وهو قولٌ مرجوح للإمام الرازي حيث قال المراد من الصيب هو الإيمان و القرآن، و الظلمات و الرعد و البرق هو الأشياء الشاقة على المنافقين، و هي التكاليف الشاقة من الصلاة و الصوم و ترك الرياسات و الجهاد مع الآباء و الأمهات، و ترك الأديان القديمة، و الانقياد لمحمد (ﷺ) مع شدة استنكافهم عن الانقياد له فكما أن الإنسان يبالغ في الاحتراز عن المطر الصيب الذي هو أشد الأشياء نفعا بسبب هذه الأمور المقارنة، فكذا المنافقون يحترزون عن الإيمان و القرآن بسبب هذه الأمور المقارنة" (الرازي،١٩٩٥م،٣١٥_٣١٦)

القول الخامس: التوقف من المفسرين من توقف فلم يرجح معنى على آخر كالإمام القرطبي (القرطبي،١٩٥٢م،٢١٥)

المبحث الثاني الخلاف في تفسير (ما)

من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ (البقرة: الآية ٢٧)**ويتضمن مطلبين:**المطلب الأول: المعاني اللغوية و النحوية ل (ما)المطلب الثاني: أقوال المفسرين

المطلب الأول: المعاني اللغوية و النحوية ل (ما) (ابن هشام،١٩٨٥م،٣٩٠)

المعنى الأول: (ما) بمعنى (الذي) فهي تستعمل بمعنى "الذي" فتوصل الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ ، و لكن لا يجوز أن "يوصفَ بها كما و صف "بالذي" لأنها اسم لمعنى تلزمها, و لها تصرفٌ غير تصرف "الذي" لأنها تكون استفهامًا و جزاء (ابن السراج،(ب،ت)،٢٦٥)**المعنى الثاني: (الكافة)** نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر: الآية ٢٨)(ابن هشام،١٩٨٥م،٤٠٥)**المعنى الثالث: (النفي)** نحو قوله تعالى: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ ﴾ (المائدة: الآية ١٩)**المعنى الرابع: (الشرطية)** نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾ (البقرة : الآية ١٩٧)**المعنى الخامس: (التعظيمية)**نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ ﴾ (الحاقة: الآية ١_٢) ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ ﴾ (القارعة: الآية ١_٢)**المعنى السادس: (المصدرية)**نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴾ (مريم : الآية ٣١)**المعنى السابع: (الزائدة)** نحو قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ ﴾ (النساء : الآية١٥٥) ﴿ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ (ص : الآية ١١)**المعنى الثامن: (النكرة الموصوفة)**نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ (البقرة : الآية ٢٦)﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ (النساء : الآية ٥٦)أما موقعها الإعرابي في قولِه تعالى:﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ ،فقد قال النحاس : "«ما» في موضع نصب بيقطعون" (

النحاس،٢٠٠١م،٤١)، و قال العكبري: "(ما أمر) : ما بمعنى الذي ; و يجوز أن يكون نكرة موصوفة، و «أن يوصل» في موضع جر بدلا من الهاء ; أي يوصله، و يجوز أن يكون بدلا من ما بدل الاشتمال ; تقديره: و يقطعون و صل ما أمر الله به" (العكبري،(ب،ت)،٤٤)

المطلب الثاني: أقوال المفسرين

قال الرازي : فيها ثلاثة أوجه: الوجه الأول: أنّ المراد قطيعة الرحم و حقوق القرابات التي أمر الله بوصلها، و الوجه الثاني: أن الله تعالى أمرهم أن يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين و اتصلوا بالكفار فذاك هو المراد من قوله: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ ، و ثالثها: أنهم نهوا عن التنازع و إثارة الفتن و هم كانوا مشتغلين بذلك. (الرازي،١٩٩٥م،٣٧٤)وقال العز : " ﴿ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ هو الرسول، قطعوه بالتكذيب و العصيان، أو الرحم و القرابة، أو هو عام في كل ما أمر بوصله" (السلمي،١٩٩٦م،١١٢)وقال القرطبي: " قوله تعالى: ﴿ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ " ما" في موضع نصب بـ" يقطعون". و " أن" إن شئت كانت بدلا من" ما" و إن شئت من الهاء في" به" و هو أحسن، و يجوز أن يكون لئلا يوصل، أي كراهة أن يوصل. و اختلف ما الشيء الذي أمر بوصله؟ فقيل: صلة الأرحام. و قيل: أمر أن يوصل القول بالعمل، فقطعوا بينهما بأن قالوا و لم يعملوا. و قيل: أمر أن يوصل التصديق بجميع أنبيائه، فقطعوه بتصديق بعضهم و تكذيب بعضهم. و قيل: الإشارة إلى دين الله و عبادته في الأرض، و إقامة شرائعه و حفظ حدوده. فهي عامة في كل ما أمر الله تعالى به أن يوصل" (القرطبي،١٩٥٢م،٢٤٧)وهذه المعاني قال به الإمام البيضاوي في تفسيره (البيضاوي،١٩٩٦م،٦٥)

الترجيح:

الذي يبدو راجحاً – و الله أعلم– هو أن القطع الذي نهوا عنه هو قطع الرحم و ذلك لما يأتي: ما و رد عليه نصاً في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد: الآية ٢٢)

١–ما روي عن أبي هريرة (ﷺ) قَالَ: «أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ و يَقْطَعُونَ، و أُحْسِنُ إِلَيْهِمْ و يُسِيئُونَ إِلَيَّ، و يَجْهَلُونَ عَلَيَّ و أَحْلُمُ عَنْهُمْ، قَالَ: «لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ كَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، و لَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (البخاري،١٩٨٩م،٣٢)

المبحث الثالث: الخلاف في تفسير (إلا)

الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: الآية ٣٤)

ويتضمن مطلبين:المطلب الأول : المعاني اللغوية و النحوية لـ (إلا) الاستثنائيةالمطلب الثاني: أقوال المفسرين

المطلب الأول : المعاني اللغوية و النحوية لـ (إلا) الاستثنائية

يتفق النحويون على أنّ الاستثناء هو إخراج الشيء مما دخل فيه غيره أو إدخاله فيما خرج منه غيرُه ، إذ إنّ المستثنى في الجملة و السياق، يكون ضد المستثنى منه في الحكم، و أدوات الاستثناء كثيرة كغير و سوى ، و منها موضوع البحث (إلا). (الأشموني،١٩٩٨م،٢٢٧)

أولاً: أنواع الاستثناء ب (إلا) التي و ردت في القرآن:

١–**الاستثناء التام الموجب** وفيه يجب نصب المستثنى ، و لا يجوز أن يتبع المستثنى منه في حركته ، قال سيبويه: " هذا بابٌ لا يكون المستثنى إلا نصباً؛ لأنه مخرّج مما أدخلت فيه غيرُه ،كقولك أتاني القومُ إلا أباك، مررت بالقومِ إلا أباك، فانتصب الأب إذ لم يكن داخلاً فيما دخل فيه قبله" (سيبويه،١٩٨٨م،٣٣٠)، و مما يجعل هذا الاستثناء هو الاستثناء المحض الحقيقي و الأنواع الأخرى محمولةٌ عليه ، فالمستثنى ذُكِر في الجملة و ذكِر في التفصيل ، فلو قلت: حضر الناس إلا زيداً و عمراً ففي الناس زيدٌ و عمرو و تمّ استثناؤهم تفصيلاً" (المبرد،(ب،ت)،٤٠١) ذكِر هذا الاستثناء في القرآن الكريم في تسعةٍ و ستين موضعاً، (قاسم،١٩٩١م،١٧٠) و الآية التي نحن بصددها من هذا النوع من الاستثناء، ونحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (البقرة : الآية٨٣)

٢–**الاستثناء التام المنفي** وهو الاستثناء المسبوق بنفي أو شِبه نفي، و اختلفَ فيه النحويون بين أن يتبع المستثنى المستثنى منه على أنه بدل، أو ينصَب على الاستثناء، كقولِنا : ما مررت بأحدٍ إلا زيداً، أو زيدٍ. (سيبوية،١٩٨٨م،٣١١)وفي هذا النوع من الاستثناء نجد أن المستثنى ب (إلا) في حال نصبِه يكون فضلة في الكلام ، و أن ما قبله هو المعتمد ، أما لو تبعَ حركة المستثنى منه فيفيد أنه هو الأصل في الكلام، و ما

قبل إلا فضلة. (ابن السراج،(ب،ت)،٢٨٢)وقد و رد هذا النوع من الاستثناء في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعاً، نحو: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ (مريم" الآية ٦٢)، و قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (الأحزاب: الآية ٢٩)

ثانياً: إعراب (إلا) في الآية أما من الناحية النحوية ، قال العكبري : "(إلا إبليس) : استثناء منقطع ; لأنه لم يكن من الملائكة. و قيل هو متصل ; لأنه كان في الابتداء ملكا. و هو اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة و التعريف" (العكبري،(ب،ت)،٥١)أما من قرأ (إلا إبليس) بالرفع في الآية الكريمة فهي قراءة شاذة _نسبت لجناح بن بن حبيش .(مكرم،١٩٨١م،٣٤).

المطلب الثاني: أقوال المفسرين

لكي نفهم المعنى المراد من الاستثناء الوارد لابد أن نتطرق الى معنى السجود و معنى إبليس، ،وهو ما سار عليه المفسرون لمعرفة الاستثناء . أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة لأن سجود العبادة لغير الله كفر و الأمر لا يرد بالكفر ثم اختلفوا بعد ذلك على ثلاثة أقوال: الأول أن ذلك السجود كان لله تعالى و آدم (عليه السلام) كان كالقبلة و من الناس من طعن في هذا القول: أنه لا يقال صليت للقبلة بل يقال صليت إلى القبلة فلو كان آدم (عليه السلام) قبلة لذلك السجود لوجب أن يقال اسجدوا إلى آدم فلما لم يرد الأمر هكذا بل قيل اسجدوا لآدم علمنا أن آدم (عليه السلام) لم يكن قبلة.الثاني: أن إبليس قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي أي أن كونه مسجودا يدل على أنه أعظم حالا من الساجد و لو كان قبلة لما حصلت هذه الدرجة بدليل أن محمدا (ﷺ) كان يصلي إلى الكعبة و لم يلزم أن تكون الكعبة أفضل من محمد (ﷺ)القول الثالث: أن السجود في أصل اللغة هو الانقياد و الخضوع ، و منه قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾(الرحمن: الآية٦) (الرازي،١٩٩٥م،٤٢٨،السلمي،١٩٩٦م،١١٦،القرطبي،١٩٥٦م،٢٩٢، البيضاوي،١٩٩٦م،٧١)أما إبليس فقد رجّح الإمام الرازي و العكبري كونه من الجن (الرازي،١٩٩٥م،٤٢٨،العكبري،(ب،ت)،٥١)ورجح القرطبي ، و العز بن عبد السلام كونه من الملائكة، و هو قول ابن عباس ، و ابن مسعود (السلمي،١٩٩٥م،١١٧،القرطبي،١٩٥٦م)وتوسط البيضاوي قائلاً: "قوله سبحانه و تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ (الكهف: الآية ٥٠) لجواز أن يقال إنه كان من الجن فعلاً و من الملائكة نوعاً، و لأن ابن عباس (رضي الله عنهما) روي: أن من الملائكة ضرباً يتوالدون يقال لهم الجن و منهم إبليس" (البيضاوي،١٩٩٦م،٧١)

الترجيح:الذي يبدو راجحاً أن إبليس من الجن و ذلك لما يأتي:الأمر الأول: لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ (الكهف: الآية ٥٠)، و لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (سبأ:الآية٤٠_٤١)وهذه الآية صريحة في الفرق بين الجن و الملك. (الرازي،١٩٩٥م،٤٢٨)والأمر الثاني: أن إبليس له ذرية و الملائكة لا ذرية له لقوله تعالى ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ (الكهف: الآية ٥٠)، و هذا صريح في إثبات الذرية. (الرازي،١٩٩٥م،٤٢٩)والأمر الثالث: أن الملائكة معصومون من المعصية، و إبليس لم يكن كذلك فوجب أن لا يكون من الملائكة.والأمر الرابع: أن إبليس مخلوق من النار و الملائكة ليسوا كذلك لقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾ (الأعراف: الآية١٢)ومن هنا فإن (إلا) تحمل على الاستثناء المنفصل إن قلنا أنه من الجن ، و هو رأي الإمامين الرازي و العكبري. (الرازي،١٩٩٥م،٤٢٨،العكبري،(ب،ت)،٥١)وتحمل على الاستثناء المتصل إن قلنا أنه من الملائكة، و هو رأي الإمامين القرطبي و البيضاوي . (القرطبي،١٩٥٦م،٢٩٤م،البيضاوي،١٩٩٦م،٧١)

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة مع التفسير و اللغة و النحو من خلال موضوعنا (الخلافات التفسيرية بين مفسري القرن السابع الهجري ، نماذج من سورة البقرة) تبيّن لنا النتائج الآتية:

١-الصلة و التشابك بين علمَي التفسير و اللغة و إكمال أحدهما للآخر.

٢-إن القرآن الكريم و النصّ القرآني مادة خصبة لدراسة الأساليب اللغوية و النحوية و أدواتها و مسائلها.

٣-نضوج التفسير عند مفسري القرن السابع الهجري فقد سبقتهم أجيال كثيرة في التأصيل و التدوين.

٤-تنوع معاني (ما) و (إلا) الواردة في القرآن الكريم و يتوضح معناها من خلال النص القرآني الذي و ردت فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر و المراجع
القرآن الكريم

ابن السراج محمد بن السري،(ب،ت) ، الاصول في النحو، دط، بيروت ،مؤسسة الرسالة.

١-ابن خالويه، الحسين بن أحمد،١٩٨١م ، الحجة في القراءات السبع،ط٤، بيروت، دار الشروق .

٢-ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت.

٣-ابن منظور، محمد بن مكرم،١٩٩٠م ، لسان العرب ، ط١، بيروت، دار صادر.

٤-ابن هشام، عبد الله بن يوسف،١٩٨٥م ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط٦ ، دمشق دار الفكر.

٥-الأزهري، محمد بن أحمد ،١٩٦٣م، تهذيب اللغة ،دط، مصر،مطبعة المؤسسة المصرية العامة.

٦- الأشموني،علي بن محمد،١٩٩٨م، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧-البخاري، محمد بن إسماعيل،١٩٨٩م ، الأدب المفرد،ط٣، بيروت، دار البشائر الإسلامية .

٨-البخاري، محمد بن إسماعيل،٢٠٠٢م ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) و سننه و أيامه،(صحيح البخاري) ، ط١، بيروت، دار طوق النجاة.

٩-البيضاوي، عبدالله بن عمر، ١٩٩٦م ،أنوار التنزيل، دط، ،بيروت، دار الفكر .

١٠- الثعالبي عبد الملك بن محمد،٢٠٠٢م، فقه اللغة و سر العربية، ط١ ، بيروت، إحياء التراث العربي

١١- الخطابي، حمد بن محمد ،غريب الحديث،١٩٨٢م،ط١ ، دار الفكر، بيروت .

١٢- الذهبي، محمد بن أحمد،١٩٩٣م ، سير أعلام النبلاء،ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٣- الرازي محمد بن عمر،١٩٩٥م ،مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير ، دط، بيروت دار الفكر.

١٤- الرازي، محمد بن أبي بكر،١٩٩٥م ، مختار الصحاح،دط ، بيروت،مكتبة ناشرون.

١٥- السبكي،عبد الوهاب بن تقي الدين،١٩٩٣م ، طبقات الشافعية، ط٢ ، دار هجر، الجيزة.

١٦- السلمي عز بن عبد السلام ،١٩٩٦م، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، ط١ ، بيروت ، دار ابن حزم .

١٧- سيبويه ،عمرو بن عثمان،١٩٨٨م ،الكتاب، ط٣ ، القاهرة، مكتبة الخانجي.

١٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٦٤م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، ،ط١، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٩- العكبري، عبد الله بن الحسين،(ب،ت) ، التبيان في إعراب القرآن، دط، القاهرة.،عيسى البابي الحلبي.

٢٠- القرطبي محمد بن أحمد،١٩٥٢م ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط٢ ،القاهرة ، دار الشعب.

٢١- المبرد، المقتضب، محمد بن يزيد،(ب،ت)،دط، بيروت،عالم الكتب.

٢٢- النحاس، أحمد بن محمد،٢٠٠١م، إعراب القرآن، ط١ ، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٣- يعقوب، إميل بديع، ١٩٩٦م، المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية ، ط١ ، بيروت دار الكتب العلميّة .

٢٤- قاسم، عزام عمر،١٩٩١م ، أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم بين النحو و البلاغة، الجامعة الأردنية ،كلية الدراسات الاسلامية.

Sources and References

The Holy Quran

-١Ibn Al-Sarraj Muhammad bin Al-Sari, (b.t.), Al-Usul fi Al-Nahw, 1st ed., Beirut, Al-Risala Foundation.

-٢Ibn Khalawayh, Al-Hussein bin Ahmed, 1981, Al-Hujjah fi Al-Qira'at Al-Sab'a, 4th ed., Beirut, Dar Al-Shorouk.

-٣Ibn Khallikan, Ahmad bin Muhammad, Deaths of Notables, Dar Al-Thaqafa, Beirut.

-٤Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, 1990, Lisan Al-Arab, 1st ed., Beirut, Dar Sadir.

-٥Ibn Hisham, Abdullah bin Yusuf, 1985, Mughni Al-Labib 'an Kutub Al-A'arib, 6th ed., Damascus, Dar Al-Fikr.

-٦Al-Azhari, Muhammad bin Ahmad, 1963, Tahdhib Al-Lugha, 1st ed., Egypt, Egyptian General Foundation Press.

-٧Al-Ashmouni, Ali bin Muhammad, 1998, Al-Ashmouni's Commentary on Ibn Malik's Alfiyyah, 1st ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

-٨Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, 1989 AD, Al-Adab Al-Mufrad, 3rd ed., Beirut, Dar Al-Bashir Al-Islamiyyah.
-٩Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, 2002 AD, The Comprehensive Authentic and Concise Collection of the Affairs of the Messenger of Allah (PBUH), His Sunnahs and His Days, (Sahih Al-Bukhari), 1st ed., Beirut, Dar Tawq Al-Najah.
-١٠Al-Baydawi, Abdullah bin Omar, 1996 AD, Anwar Al-Tanzil, 1st ed., Beirut, Dar Al-Fikr.
-١١Al-Tha'alibi Abdul Malik bin Muhammad, 2002 AD, Jurisprudence of Language and the Secret of Arabic, 1st ed., Beirut, Ihya' Al-Turath Al-Arabi.
-١٢Al-Khattabi, Hamad bin Muhammad, Gharib Al-Hadith, 1982 AD, 1st ed., Dar Al-Fikr, Beirut.
-١٣Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmad, 1993 AD, Biographies of the Noble Figures, 9th ed., Beirut, Al-Risala Foundation.
-١٤Al-Razi, Muhammad bin Omar, 1995, Keys to the Unseen, called the Great Interpretation, 1st ed., Beirut, Dar Al-Fikr.
-١٥Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr, 1995, Mukhtar Al-Sihah, 1st ed., Beirut, Library of Publishers.
-١٦Al-Subki, Abdul Wahhab bin Taqi Al-Din, 1993, Classes of Shafi'is, 2nd ed., Dar Hijr, Giza.
-١٧Al-Salami, Izz bin Abdul Salam, 1996, Interpretation of the Qur'an (which is an abbreviation of Al-Mawardi's Interpretation), 1st ed., Beirut, Dar Ibn Hazm.
-١٨Sibawayh, Amr bin Othman, 1988, Al-Kitab, 3rd ed., Cairo, Al-Khanji Library.
-١٩Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, 1964, The Desire of the Aware in the Classes of Linguists and Grammarians, 1st ed., Cairo, Issa Al-Babi Al-Halabi Press.
-٢٠Al-Akbari, Abdullah bin Al-Hussein, (n.d.), Al-Tibyan fi I'rab Al-Quran, 1st ed., Cairo, Issa Al-Babi Al-Halabi.
-٢١Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad, 1952, Al-Jami' li Ahkam Al-Quran (Al-Qurtubi's Interpretation), 2nd ed., Cairo, Dar Al-Shaab.
-٢٢Al-Mubarrad, Al-Muqtabas, Muhammad bin Yazid, (n.d.), 1st ed., Beirut, Alam Al-Kutub.
-٢٣Al-Nahhas, Ahmad bin Muhammad, 2001, I'rab Al-Quran, 1st ed., Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
-٢٤Yaqoub, Emile Badi', 1996, Al-Mu'jam Al-Mufassal fi Shawahed Al-Lugha Al-Arabiyyah, 1st ed., Beirut Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
-٢٥Qasim, Azzam Omar, 1991, The Method of Exception in the Holy Quran between Grammar and Rhetoric, University of Jordan, Faculty of Islamic Studies